الحسن السياري يقول سمعت ابن الاعرابي يقول بلغني ان سفيان الثوري قال اعز الخلق خمسة
انفس عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح ولكنه يخرج مخرج الغالب وذلك انه من غلب عليه شي كانت
غلبته عليه مانعة له من المصير الى ضده عادة وذلك ان العالم هو المتمكن من العلوم
العقلية والشرعية والعادة العارف بوجوه الاستدلال والمفرق بين الشبه والدلالة
بواضح البيان والمقال فهو كامل عند الناس معظم بين الانام ومن يكون هذه صفته وجبت
مالا وتوجه رفعت منزلته ودرجته بعد من غلبة الزهد في الدنيا فانه عارف في متعظم
وهو الجاه ولا لا يقبل احوا يخرج من روس الصديقين حب الرياسة واما الفقيه الصوفي
فان الغالب من الفقيه الحلال والحرام وتحقيق الفتيا بين الانام والرجوع اليه في ساير
المهمات في فصل الخصام فهو محتاج اليه ولا بد من الرجوع اليه والصوفي عبارة عن المنقطع
بغالبه عن الساير المشتغل بربه ومراعاة ما هو فيه من الخواطر والاحوال والانفاس
فيبعد ان يكون الشخص فقيها يحتاج اليه الناس ويتفرغ لما يشتغل به اهل التصوف من
مراعاة الاحوال والانفاس وقد يمن الله تعالى على بعض من اختصه بالجمع بين ذلك كاحوال
الانبيا والسادة من الخلفا ابي بكر وعمر وغيرهم ممن قام بحق الله في نفسه وفي غيره ولكن ذلك
قليلا غالبا وقد تقدم ان اسباب الغنا والسعة في الدنيا المال والجاه وهي اسباب الشرف
والتكبر فالمتواضع مع هذا الحال نادر واما الفقير الشاكر فان الفقير يلازمه الصبر وانما
يشكر الانسان على النعم وقل من يعرف الفقر نعمة عليه وما صرف عنه في الدنيا من الحقوق والواجبات
وما سلم منه في الاخرة من الحساب وشدة المطالبات فقل من يشكر على الفقر الا احاد
الناس والشريف السني هذا امر جرت به العادة فان الشرفا المنتسبين لاولاد
النبي صلى الله عليه وسلم من اولاد فاطمة وعلي وغيرهم من الشرفا يكون فيهم الميل الى ما
هم فيه وربما لم يعظموا ابا بكر وعمر حق تعظيمهما ولم يسلكوا مسلك اهل السنة في تقديمهما
من هذه الجهة والله اعلم هذا الاطلاق ان من النوادر من يدعي الشرف يكون سنيا
وهذا الذي ذكره انما وقع في هذه الازمنة المتاخرة واما الصدر الاول فقد وقع
الاجماع منهم على تفضيل ابي بكر وعمر وعلى الجملة فهذا القايل انما نظر الى الغالب والنادر الواقع
الوجود ومقصوده هذا الباب انه نادر تواضع الغني لا غير وانما تكلمنا عليه لتمام
كلامه وشرح ما قال والله المستعان قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ التواضع
حسن في كل احد لكنه في الاغنيا احسن والتكبر سمج في كل احد لكنه في الفقير اسمج قال الشارح
رضي الله عنه وذلك لعدم اسباب التكبر في حق الفقير ووجودها في حق الغني فمن وجد
اسباب التكبر من المال والجاه وغير ذلك ثم لم يحمل على مقتضى ذلك وتواضع فتواضعه احسن
من

١٩٤

من تواضع من لم يكن عنده من اسباب التكبر ما عنده واما الفقير الذي عدم اسباب علو
الكبر من الدنيا والاخرة فلا يليق الكبر به على حال وهذا وارد ومنه اقبح من صدر ممن وجد
اسباب التكبر وقد ورد الخبر بذم الشيخ الزاني ومدح الشاب التايب وذلك لتهيي
اسباب الفساد وقوة الشهوة من الشباب وضعف ذلك في حق الشيخ ولذلك صح الزامامنه
وحسن تركه من الشاب وان كان الزنا قبيحا مطلقا وتركه حسنا الا انه من الشيخ اقبح وتركه
حسنا الا انه من الشيخ اقبح وتركه من الشباب احسن قال الامام رضي الله عنه وقال
عطا التواضع قبول الحق ممن كان قال الشارح رضي الله عنه وهذا قد تكرر مرارا
ويعني من كل قايل صغيرا او كبيرا شريفا او وضيعا عبدا او حرا لانه ينظر الى الحق الذي قال
لا الى الشخص القايل فهو يتواضع للحق وينقاد له وهذا هو التواضع لله قال الامام رضي
الله عنه وقيل ركب زيد بن ثابت رضي الله عنه فدنا ابن عباس رضي الله عنه ليأخذ
بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بكبرائنا فقال
اري يدك فاخرجها اليه فقبلها وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مشهورة قد تداولها الناس وروحها تعظيم
العلما والتواضع لهم وذكر لاهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وذويه وذلك ان زيد
ابن ثابت صلى على جنازة فقدمت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس فامسك له الركاب حتى يركب
كما يفعل الخدام فقال له زيد مه يا ابن عم رسول الله صلى الله معناه ما هذا فقال له ابن عباس هكذا
امرنا ان نفعل بعلمائنا اي نكرمهم ونجلهم فقال له زيد بن ثابت ارني يدك فاخرجها اليه فمسكها
زيد بن ثابت وقبلها وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر
هذا انه فعله مكافاة لما فعل هو من مسكه الركاب وقبل يده التي مسك بها الركاب ثم قوله
هكذا امرنا ان نفعل معناه نجلهم ونعظمهم وان كان مالك رحمه الله كره تقبيل وشدد الكراهه
فيه وقد يكون ذلك خوفا من دخول افة الكبر والعجب على المفعول به ذلك على وجه التعظيم
لا على وجه المكافاة لما فعله قال الامام رضي الله عنه وقال عروة بن الزبير رايت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ما فقلت يا امير المومنين لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود
سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فاحببت ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امراة
من الانصار ففرغها في انايها قال الشارح رضي الله عنه وهذا من باب اذلال النفس وكسر
نخوتها اذا ظهر فيها عند ما تعظم وتشرف ويجد الانسان في نفسه هذه تعاطى افعالا
تزري بقدره وتذيقها الذلة وهذا شان الصالحين مداراة انفسهم ادام تنشغل السر بما
يرد منه من الطاعات ادوما لمخالفة الهوى وتحمل الامر الشاق قال الامام رضي الله
عنه سمعت اباحاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسي يقول

عنه
بعلمائنا

Copyright © King Saud University